في «التقاليد» المهجرية:
ملهاة «الوحدة الوطنية»

صبري جريس

قصة ابريق الزيت، المعروفة، ايضاً، بأسم «الوحدة الوطنية»، لا تنتهي. انها لا تختفي فترة الا لتعود، مجدداً، بـ «زخم» أشد، فتخلع ثوباً وتلبس آخر، وتدفع العديدين نحو الاوهام والاحلام والمتاهات، وتلحق، بالمحصلة، افدح الاضرار بالعمل الوطني الفلسطيني، من حيث انها لا تستطيع ان توجه الانظار الا نحو المشاكل الهامشية. والنتيجة هي، بالطبع، التغطية على المشاكل الحقيقية الملحة وتجنب معالجتها والتلهي بالشعارات، على ما يتبع ذلك، عادة، من كوارث.

وفي التنـظير لما يعتبـر محاسن ما يسمى «الوحدة الوطنية»، تلعب بعض التنظيمات الفلسطينية (ايام «الفخفخة» في بيروت كانت تسمى «فصائل») وخصوصاً المستيسرة منها، وبعض «زعماء» المنظمات الشعبية، اضافة الى بعض المتشددين والمستقلين، هنا وهناك، دوراً بارزاً للغاية. فهؤلاء لا ينفكون يسعون الى تلك الوحدة، ولا يدخرون وسعاً في تحقيقها، ولا يتعبون من العمل لاجلها بهمّة واجتهاد ونشاط ومثابرة تثير الاستغراب، وفي احيان كثيرة: الشبهات.

وحتى لا يُحمل التعاطي مع هذا الموضوع على غير موضعه، تجدر الاشارة الى ان مجمل المعطيات المتوفرة، والاوضاع السائدة، لا تدع مجالاً كبيراً للشك في ان خطر تلك الوحدة، بما تجره عادة من عقم في التفكير وشلل في الاداء، غير وارد. فالواقع الذي تبلور خلال السنين الاخيرة، على صعد عدة، لا يسمح بعودة مثل هذه الوحدة، وان عادت، فلن تكون الا ظاهرية، وحتى في وضعها هذا لن تستمر طويلاً. وان كانت هنالك حاجة للتعامل مع هذا الموضوع، فانها ناجمة، اساساً، عن ضرورة التصدي لـ «فكر» والممارسات المهجرية ومحاولة الاسهام في الكشف عن حقيقتها.

حكاية «الاجماع الوطني»

ينطلق متعاطو «الوحدة الوطنية»، في محاولاتهم ترويج بضاعتهم (وبالمدى الذي يمكن